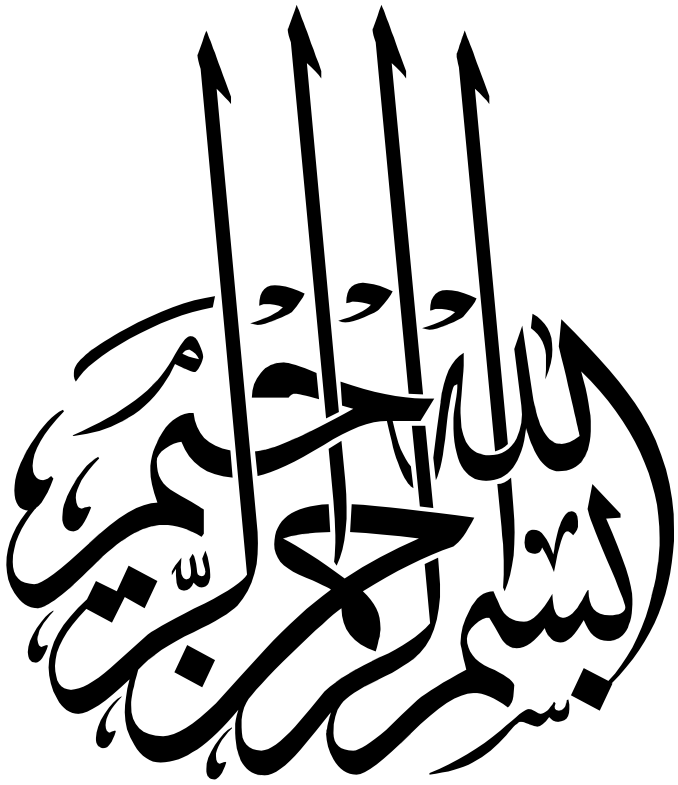
بسم الله الرحمن الرحيم

شرح كتاب

الفتن وأشراط الساعة

من صحيح مسلم

◈◈◈

باب في الآيات التي تكون قبل الساعة: **الدابة**

وأمّا العلامة الثالثة التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم فهي: الدابة، وما أدراك ما الدابة؟!

الدابة المذكورة في هذا الحديث؛ هي الدابة المذكورة في قول الله -عز وجل-: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل: ٨٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "هذه الدابة تخرج في آخر الزمان، عند فساد الناس، وتركهم أوامر الله، وتبديلهم الدين الحق، يُخرج الله لهم دابة من الأرض، قيل من مكة وقيل من غيرها".

وقوله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾؛ "وَقَعَ": بمعنى وَجَبَ.

"والقَوْلُ" قال بعض أهل العلم هو: العذاب؛ يعني إذا وَجَبَ عليهم العذاب؛ استحقوا العذاب. وقال بعض أهل العلم: هو الغضب؛ فاستحقوا الغضب من الله. وقال بعض العلماء: هو الحجة المستبينة، ومِن هذه الحُجج: ما يَسبق الدابة من علامات الساعة؛ كخروج الدجال، ونزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. ومتى يكون ذلك؟ متى يستحقون الغضب أو العذاب؟ قال بعض أهل العلم: إذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ هذا قاله ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وجاء ما يؤيِّده في حديث: أنه يكون في آخر الزمان أَمْثَلُ الناس مَن إذا رأى الرجل يَقع على امرأة في الطريق قال: لو واراها خلف الجدار! نعوذ بالله، كما سيأتينا -إن شاء الله- أنه في آخر الزمان يتهارَج الناس كما تتهارج الحُمُر، يعني يجامع الرجل المرأة في قارعة الطريق كالحمير، وإذ ذاك يكون أَمْثَلُ الناس -أحسنهم- الذي يقول: لو واراها خلف الحائط، لا ينكر هذا المنكر العظيم؛ لكن فقط أنها في الشارع! والعياذ بالله، فإذ ذاك يستحقون الغضب.

وقال بعض أهل العلم: إذا لم يُرجَ صلاحهم؛ يعني استبانتْ لهم الآيات فلم يؤمنوا ولم يَظهر فيهم الخير.

والدابة تَخرج ضحىً، في وقت الضحى؛ كما ثبت في حديث البخاري، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وأخرج الإمام أحمد عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تخرج الدابة فتَسِمُ على خراطيمهم»؛ أي تَسِم الكفار على خراطيمهم «ثم يُعمَّرون فيكم» يعني لا يموتون مباشرة، «حتى يشتري الرجل الدابة فيقال: ممَّن اشتريتها؟ فيقول: من الرجل المخَّطم» تصبح علامة؛ حتى يشتري الرجل الدابة فيقال له: اشتريتها ممن؟ يقول: من الرجل المخطَّم. هذا الحديث رواه الإمام أحمد، وصححه الألباني.

وروى ابن ماجه والترمذي والإمام أحمد عن أبي هريرة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان بن داود، وعصا موسى بن عمران عليهما السلام، فتَجلو وجه المؤمن بالعصا، وتَخطِم وجه الكافر بالخاتم، حتى أنّ اهل الخُوان لَيَجتَمِعون فيقول هذا: يا مؤمن، ويقول هذا: يا كافر» صحّحه الشيخ أحمد شاكر، وضعّفه الشيخ ناصر الألباني.

وقوله في الحديث: «فتَجلو وجه المؤمن»؛ أي تُبيِّض وجه المؤمن، و«أهل الخُوان»: أي ما يوضَع عليه الطعام عند الأكل، «يجتمعون» يعني على الطعام، وهذا مخطوم وهذا مجلّى، فيقول المخطوم للمجلى: يا مؤمن، ويقول ذاك له: يا كافر.

أمّا مكان خروجها؛ من أين تخرج؟ فقد روى ابن ماجه عن بريدة قال: ذهب بي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى موضعٍ بالبادية، قريب من مكة، فإذا أرضٌ يابسة حولها رمل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تخرج الدابة من هذا الموضع»، إذن على هذا؛ أنها تخرج من مكان بقرب مكة. قال الإمام البخاري: "فيه نظر"-يعني الحديث-، وقال الإمام الألباني: "ضعيف جدا"؛ فلا يصح أن يُستَند إليه.

وروى ابن جرير -في التفسير- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «تخرج الدابة من صَدْعٍ في الصفا، كجَرْيِ الفَرَسِ ثلاثة أيام وما خرج ثلثها». «صدع»؛ أي شق في جبل الصفا. «كجري الفرس» أي مسرعة، ثلاثة أيام وهي تخرج مسرعة، قال: «وما خرج ثلثها» وعلى هذا فهي عظيمة جدًا؛ لكنّ الأثر ضعيف.

وروى ابن جرير -أيضًا- عن حذيفة في قوله: ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾؛ قال: "للدابة ثلاثة خَرَجات: خَرْجَةٍ في بعض؛ ثم تَكْمُن، وخرجةٍ في بعض القرى حين يُهرِيق الأمراء الدماء؛ ثم تكمن، فبينما الناس عند أشرف المساجد وأعظمها وأفضلها -الذي هو المسجد الحرام- إذ ارتفعتْ بهم الأرض؛ فانطلق الناس هِرابًا، وتبقى طائفة من المؤمنين ويقولون: إنه لا يُنجِينا من الله شيء، فتَخرج عليهم الدابة تجلو وجوههم مثل الكوكب الدريّ، ثم تنطلق، فلا يدركها طالب، ولا ينجو منها هارب"، وهذا أيضا ضعيف.

وروى ابن جرير -أيضًا- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «أنها تخرج في عَقِبِ رَكْبٍ من الحاج»؛ يعني خلف مجموعة من الحجاج، وهذا ضعيف.

ورُوِيَ مرفوعًا: «تخرج الدابة من أجياد» أجياد تعرفونه؛ مكان في مكة «تخرج الدابة من أجياد، فيبلغ صدرها الركن اليمانيّ، ولمّا يخرج ذنبها بَعْد، وهي دابة ذات وبر وقوائم» قال الألباني: ضعيف.

إذن؛ لم يصح في تحديد مكانها أثرٌ يُعتمَد عليه، وما يُذكَر من تحديد مكان خروجها في كتب التفسير أو في كتب شروح الأحاديث لا يُركَن إليه.

نحن نؤمن أنها ستَخرج، وأمّا مكان خروجها فلم يُخبِرنا الله -عز وجل- به، فنَكِلُ ذلك الأمر إلى الله. وأوردتُ ما ذكروه من أجل أن نَتبيَّن هذا.

إذا كان ذلك كذلك؛ فما عمل الدابة؟ ما الذي تعمله الدابة؟

اختلف القرَّاء في قراءة الآية في قوله: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾

- فقرأ عامة القراء: "تُكلِّمُهم" أي تُخبرهم و تحدّثهم.
- وقرأ أبو زرعة بن عمرو: "تَكْلَمُهم" أي تَسِمُهم وتُعَلِّمُهم؛ تضع عليهم علامة.

قال ابن كثير رحمه الله: "فتكلَّم الناس في ذلك".

قال ابن عباس والحسن وقتادة -ورُوي عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: "تُكلِّمهم كلامًا؛ أي تخاطبهم مخاطبة".

وقال ابن عباس -في رواية-: "تَجْرَحُهم"؛ يعني لا تُكلِّمهم مخاطبةً؛ وإنما تجرحهم. وجاء عن ابن عباس في رواية قال: "كلّا تَفعل"؛ أي تُكلِّمهم وتَسِمُهم. قال ابن كثير: "وهو قول حسن، ولا منافاة"، ما دام أنها قراءتان ويمكن العمل بالمعنيَين؛ فلا منافاة، فهي تكلِّمهم وتخاطبهم وأيضًا تَسِمُهم.

وفيمَ تكلمهم؟ ماذا تقول لهم؟ قال بعض العلماء: تقول لهم: ﴿ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ ؛ ومن آيات الله: خروج الدابة؛ أنهم كانوا لا يصدّقون بها.

وفي هذا -يا إخوة-: بيان خطورة رَدِّ الأحاديث التي جاءت في علامات الساعة.

وقال بعض أهل العلم: تكلمهم ببطلان الأديان سوى الإسلام؛ فتقول: كلُّ دين باطل سوى الإسلام.

وقال بعض أهل العلم: تكلِّمهم بما يَسوؤهم؛ ومعنى هذا أنها تكلِّم الكفار؛ تكلِّمهم بما يسوؤهم.

وللمفسرين كلام كثير في الدابة؛ فقيل: إن طولها ستون ذراعًا، ورُوي أنّ رأسها يبلغ السحاب، وقيل: إنّ ما بين قرنَيها فرسخ للراكب. وقيل: لها أربع قوائم، وزغب وريش وجناحان؛ وهذا غريب، وليس هذا في العادة. وقيل: لها ريش وزغب وحافر وما لها ذنب؛ بل لها لحية. وقيل -وهذا من أعجب ما قيل، ذكره ابن جريج عن أبي الزبير-: إنّ رأسها رأس ثور، وعينها عين خنزير، وأذنها أذن فيل، وقرنها قرن أَيِّل، وعنقها عنق نعامة، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هرّ، وذنبها ذنب كبش، وقوائمها قوائم بعير، بين كلِّ مفصلَين اثنى عشر ذراعًا، تخرج معها عصا موسى وخاتم سليمان.

قال في تحفة الأحوذي: "واعلم؛ أنه لا دلالة في الكتاب على شيءٍ من هذا، فإن صح الخبر فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قُبِل وإلا لم يُلتَفت إليه"، قلتُ: لم يصح في وصف الدابة خَبَرٌ ولا أَثَرٌ.

وعليه؛ فيا قارئ، يا طالب العلم، لا تلتفتْ لِمَا ذكره المفسرون وشرَّاح الحديث -على مختلف طبقاتهم- في مسألة وصف الدابة، فإنه أمرٌ غيبي لا يجوز القول فيه إلا بنقل، ولم يثبت في ذلك نقلٌ.

خلاصة الباب: أنا نؤمن بالدابة، وأنها ستخرج، وأنها تكلِّم الناس، وأنها تَسِم الناس، وأنها قريبة من طلوع الشمس من مغربها، وبالتالي هي علامة على قُرْبِ إغلاق باب التوبة.

شرح كتاب

الفتن وأشراط الساعة

من صحيح مسلم

◈◈◈

باب في الآيات التي تكون قبل الساعة:

طلوع الشمس من مغربها

إذن؛ ذكرنا: الدخان، والدجال، والدابة.

أمّا الآية الرابعة؛ فهي: طلوع الشمس من مغربها، قال الله -عز وجل-: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: "يقول -تعالى ذكره-: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ ؛ لا ينفع من كان قبل ذلك مشركًا بالله أن يؤمن بعد مجيء تلك الآية".

1. وقيل إنّ تلك الآية التي أخبر الله -عز وجل- عنها: هي طلوع الشمس من مغربها؛ وعليه الأكثر من العلماء.

2. وقيل: إنها واحدة من ثلاث: الدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها. أمّا الدابة وطلوع الشمس من مغربها؛ فالأمر فيها قريب؛ لأنهما قريبتان جدًا، لكنّ الدجال مشكِل؛ لأنّ الدجال يَخرج قبل غَلْق باب التوبة ويُسلِم بعض الناس، وقد ورد في حديث صحيح أنّ هذه الآيات الثلاث إذا خرجتْ لم ينفع الإيمان، لكنّ الدجال ذُكر في بعض الروايات، وذُكر في الروايات الأخرى الدخان، ولذلك بعض أهل العلم يقول: ذكر الدجال في هذا الحديث -وإن كان صحيح الإسناد- لا يثبت؛ من جهة أنه تارة يُذكَر الدجال وتارة يُذكَر الدخان، والدخان من حيث المعنى أقرب في إغلاق باب التوبة.

3. وقيل -قول ثالث-: وهي أنّ هذه الآية المذكورة هي أُولى الآيات الكبرى؛ فأوّل آية من الآيات الكبرى يُغلَق معها باب التوبة.

ثلاثة أقوال لأهل العلم.

لكن ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ قال: "وأولى الأقوال بالصواب في ذلك: ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ذلك حين تطلع الشمس من مغربها».

روى البخاري ومسلم في تفسير هذه الآية، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن مَن عليها، فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل»؛ وهذا نص صريح في التفسير في الصحيحين.

وروى البخاري عن أبي ذر ﷺ قال: "قال النبي صلى الله عليه وسلم لي حين غربت الشمس: «تدري أين تذهب؟» قلت: الله ورسوله أعلم". والشمس تذهب، وربِّ الكعبة تذهب، قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذَن لها، ويوشك أن تسجد فلا يُقبَل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، يقال لها: ارجعي من حيث جئتِ؛ فتطلع من مغربها؛ فذلك قول الله -عز وجل-: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ﴾»، وهذا عند البخاري في الصحيح.

وروى مسلم عن أبي ذر ﷺ أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال يومًا: «أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟» هذا خطاب للصحابة ويتبعهم المؤمنون؛ «أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «إنّ هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخِرَّ ساجدة، فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارجعي حيث جئتِ، فترجع، فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري حتى تنتهي لمستقرها تحت العرش، فتخرِّ ساجدة، ولا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي ارجعي من حيث جئتِ، فترجع، فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري؛ لا يَستنكر الناس منها شيئًا، حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش فيقال لها: ارتفعي، أصبحي طالعةً من مغربك، فتصبح طالعة من مغربها» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قَبل».

وروى البخاري ومسلم أنّ أبا هريرة ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن مَن عليها، فذاك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قَبل».

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة -رفعه-: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها؛ تاب الله عليه»، وهذا نص؛ أنه من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها قُبِلت توبتُه.

ولأبي داود والنسائي من حديث معاوية -رفعه-: «لا تزال تُقبَل التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها»، قال الحافظ: وسنده جيد.

وساق الحافظ عددا من الآثار؛ ثم قال: "فهذه الآثار يشد بعضها بعضًا متّفقةٌ على أنّ الشمس إذا طلعت من المغرب أُغلق باب التوبة ولم يُفتَح بعد ذلك، وأنّ ذلك لا يختص بيوم الطلوع بل يمتد إلى يوم القيامة". فإذا طلعت الشمس من مغربها أُغلق باب التوبة.

وروى الإمام أحمد أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنّ الهجرة خَصلتان»-واسمعوا يا إخوة- قال: «إنّ الهجرة خَصلتان: تَهجُر السيئات» هذه هجرة «والأخرى: تهاجِر إلى الله ورسوله، ولا تنقطع ما تُقبِّلت التوبة، ولا تزال التوبة تُقبَل حتى تطلع الشمس من مغربها»، قال ابن كثير : "هذا الحديث حسن الإسناد، ولم يُخرِّجه أحدٌ من أصحاب الكتب الستة".

قال العلماء: لماذا يغلق باب التوبة عند طلوع الشمس من مغربها؟

قالوا: "لأنه إذا طلعت الشمس من مغربها انقطعت الآمال، وماتت الشهوات، وسقطت الرغبات، فأصبح الأمر كمعاينة الممات، ولا يُقبل التوبة عند معاينة الممات".

كأن العلماء يقولون: معاينة الممات تكون بأحد أمرين: خاصة وعامة.

1. **أما الخاصة**: فهي بغرغرة الإنسان؛ لأنّ الإنسان لا يزال يرجو الحياة ما لم يغرغر؛ فإذا غرغر عَلِمَ أنّ الأمر انتهى؛ فإذ ذاك لا تُقبل التوبة.

2. **والعام**: إذا طلعت الشمس من المغرب، فإذا طلعت الشمس من المغرب عَلِمَ الإنسان أنه لم يبقَ في الدنيا شيء؛ فيكون عايَن الممات؛ فلا تُقبل منه التوبة.

وهي كما قلنا: تخرج قريبًا من خروج الدابة، كما روى مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنّ أوّل الآيات خروجًا: طلوع الشمس

من مغربها، وخروج الدابة ضحى، فأيتهما كانت قبل صاحبتها؛ فالأخرى على إثرها» يعني هما متقاربتان. وطبعًا -أنا أذكِّر الإخوة- أنّا شرحنا الأَولوية فيما مضى من الدروس وبيّنا الترتيب بالنسبة لكلمة «الأولى».

قال العلماء: الحكمة في اقتران طلوع الشمس من المغرب وظهور الدابة: أنّ الشمس إذا طلعت من المغرب لم يبقَ بابٌ للإيمان ولا للتوبة؛ أُنسُدّ الباب، فتأتي الدابة لِتُعلِّم الناس؛ هذا مؤمن وهذا كافر؛ فناسَب اقترانهما.

طلوع الشمس ينسدُّ به باب التوبة؛ فتأتي الدابة فتُعلِّم الناس بحسب أحوالهم؛ تَسِمُ الناس بحسب أحوالهم.

هذا أهمُّ ما يورده العلماء في مسألة الدابة.

ولعلنا نقف عندها، لنكمل الآيات العشر يوم غدٍ إن شاء الله -عز وجل-.